مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

# الهمزة والألف بين الأصوات والصرف

## قراءة في (آ) للدكتور محمد منصف القماطي

ليلى عبدالرزاق الزقوزي
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية-طرابلس، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.
البريد الإلكتروني: l.alzaquzy@uot.edu.ly

Article history
Received: Nov 23, 2023 Accepted: Dec 6, 2023

**الملخص:**

هذه الدراسة محاولة لتوضيح جانب من منهج الدكتور محمد القماطي الصوتي والصرفي في مقاله الذي اختار له من العناوين (آ) وهو عنوان مميز على شكل همزة ممدودة بالألف تمثل المقطع المتوسط (cvv) يتضمن الصوتين اللذين استهدفتهما الدراسة، والتي اعتمدت على علمي الأصوات والصرف للتعريف بهما.

وهو مقال اتضحت فيه جوانب من منهج الدكتور محمد القماطي وهذه الدراسة أنارت جانبا من هذا المنهج.

وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عدة من أهمها مراعاة التيسير عند عرض المعلومات، وتنوّع المعلومات حول الصوتين وترتيبها وفق منهج محدد، التباين في استعمال بعض المصطلحات، المواءمة بين المنهجين القديم والحديث، اعتماده في التمثيل على قراءة نافع، تنوع المصادر والمراجع.

**الكلمات المفتاحية:** الهمزة – الألف – محمد القماطي - منهج

**A B S T R A C T:**

This study is an attempt to clarify an aspect of **Dr. Muhammad al-Qumati's** phonetic and morphological approach in the article that he chose for him from the titles Aa, which is a distinctive title in the form of a hamza extended with the opening representing the middle open syllable (cvv).

It includes the two sounds targeted by the study, the **Hamza** and the **Alif,** which relied on introducing them to the sciences of phonetics and morphology. It is an article in which aspects of Dr. Muhammad al-Qumati's approach became clear. This study came to clarify his approach.

This study continued with results, the most important of which is that **Dr. El-Qumati** took care of facilitation when presenting the information. The information about the two targeted voices varied. He arranged the information about the two voices by drawing a methodology that followed him in defining them. The old and new approaches in using the morphological approach sometimes and the phonetics approach at other times, relied on a **Nafia' Qeraa** in representation, the diversity of references to sources and references.

**Keywords:** Hamza- Alif- Dr. Muhammad al-Qumati -method

### مقدمة:

هذا البحث محاولة لإنارة جانب من منهج الدكتور محمد القماطي الصوتي والصرفي في المقال الذي اختار له من العناوين (آ)، وهو عنوان مميز في صورة همزة ممدودة بالفتح، تمثل المقطع الصوتي المتوسط المفتوح (ص ح ح)، ويضم الصوتين المستهدفين بالدراسة الهمزة والألف، الذي اعتمد في التعريف بهما على علمي الأصوات والصرف أيما اعتماد، وكان هدفه معارفيا – إن صح التعبير – ؛ لنشره في باب المعارف الإسلامية لمجلة كلية الدعوة الإسلامية، وهو نافذة تقدم مواد منتخبة تتعلق بكل ما يتصل بالإسلام والمسلمين، وتهدف إلى إيصال معلومات موجزة ومكثفة لهذه المواد، مع مراعاة اختلاف مستوى المطالعين (القماطي، 1985، صفحة 273)، ووجدت فيما كتبه إضاءات تظهر جانبا من منهجه العلمي، فآثرت بيانها للباحثين بهذه الدراسة المتمثلة في مبحثين: الأول منهما يحتوي على بيان منهجه المتبع في التعريف بالهمزة، والثاني يتتبع منهجه في التعريف بالألف، ويضم كل مبحث مطلبين:

يوضح أولهما منهجه من الجانب الصوتي في وصف مخرج الصوت، وبيان أقسامه وتنوعاته، ووظيفته الصوتية، وعلاقته بالكتابة الصوتية.

ويشمل ثانيهما الجانب الصرفي وما اتخذه من وسائل منهجية للتعريف بالصوتين من حيث دورهما في البناء الصرفي، وما يقومان به من وظائف صرفية.

**المبحث الأول – منهج الدكتور القماطي في التعريف بالهمزة**

لم يأل الدكتور جهدا في جمع البيانات الأساسية لصوت الهمزة، وعرض أهم الجوانب التي يحتاج القارئ معرفتها، فبدأ بهمزة القطع سرد بعض مصطلحاتها، ثم بيّن مخرجها، وعرض وظيفتها الصرفية، وأردفها ببعض دلالاتها، فتنوعاتها الصوتية، وختم بكيفية رسمها. ثم عرّف بهمزة الوصل والمصطلحات المستعملة لها، وبين وظيفتها الصوتية فالصرفية، وختم بكيفية رسمها.

**المطلب الأول– الجانب الصوتي للتعريف بها**

**أولا– مخرجها:**

وصف علماء التجويد مخرج الهمزة بأنها:

- "حرف مجهور وبعيد المخرج شديد" (الداني، 2000، صفحة 118).
- "تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر" (مكي، 1996، صفحة 145).
- "وهو أثقل الحروف، وأدخلها في الحلق" (القرطبي، 2000، صفحة 123).

فكان مبلغ علمهم أن مخرجها بعيد، وهو أول المخارج مما يلي الصدر وأدخلها، فلم يتوفر لديهم ما للمحدثين من تقنيات بيّنت لهم بالتجربة أن الحنجرة هي المخرج الذي تنتج فيه الهمزة، فوصفوا طريقة خروجها منه بأن:

- "تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة؛ فيسمع صوت انفجاري، هو ما نعبر به بالهمزة" (أنيس، د ط، صفحة 77).
- "ينغلق الوتران الصوتيان بصورة محكمة، ثم ينفتحان بصورة خاطفة، فيكون الانفجار المسمى بالهمزة" (شاهين، 1980، صفحة 28).
- ""ينطبق الوتران انطباقا تاما، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثم ينقطع النفس، ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران؛ فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوسا" (بشر، 2000، صفحة 175).

ولم يجِد الدكتور القماطي عن هذا المسار فوصف كيفية النطق بها "بحبس تيار الهواء هنيهة بفعل الحبلين الصوتيين في الحنجرة، فيما يشبه الشهقة" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 274)، وتميّز وصفه بأمور ثلاثة:

- اكتفائه بالعملية النطقية الأولى لإنتاج الهمزة، وهي حبس تيار الهواء بفعل الحبلين الصوتيين، معتمدا على تلقائية العملية الثانية، انفتاحهما وخروج الهواء.
- تشبيهه للهمزة بالشهقة وفيه تقريب للأذهان، وقد تتفق الهمزة مع الشهقة في الجانب السمعي، ولكنها تناقضها في الجانب النطقي – إذا صح أن الهواء يخرج من الرئتين عند النطق بها–؛ لاختلاف اتجاه مسار الهواء من حيث ابتداء مروره في الهمزة من الرئتين إلى الحنجرة، بينما ينسحب الهواء في الشهقة من الفم إلى الرئتين، لأن الشهيق رد النفَس (منظور، د ط، صفحة 59/12) لا إخراجه، والناظر في نطق القراء يراه متفقا مع وصف الدكتور القماطي بإدخال الهواء لا إخراجه.
- تحديد الجانب الزمني للنطق بالهمزة بحبس الهواء (هنيهة) وهي قليل من الزمن (منظور، د ط، صفحة 243/20)، وفي ذلك يتفق مع منهج علماء التجويد في ضرورة إظهار الهمزة؛ لأنها قد تخفى في مواضع (مكي، 1996، صفحة 151)، مخالفا من حدد زمنها (بصورة خاطفة).

**ثانيا– تنوعاتها:**

قسّم الدكتور القماطي الهمزة إلى خمسة أقسام حسب ما استقر في علم القراءات (القماطي م.، آ، صفحة 275)، واعتمد على كتاب الإضاءة (الضباع، 1999، الصفحات 23-25) في هذا التقسيم، وهي المحققة، والمسهلة بين بين، والمبدلة، والمسقطة، والمنقولة، ومما يجدر التنبيه إليه في منهجه:

- أن هذا التقسيم ضم التغيرات الصوتية للهمزة، فتحقق أصالة، وتسهل بين بين، وتبدل، وتسقط، وتنقل حركتها تخفيفا، أو تخالفا، أو لتصحيح النظام المقطعي، ولم يشر إلا للمخالفة عند تعليله إسقاطها لمجاورتها همزة أخرى.
- وضع لكل نوع حدا مختصرا يميزه عن غيره، من الحدود المتفق عليها عند علماء التجويد والقراءات، ولم يلتفت إلى ما ذهب إليه بعض المحدثين من سقوط همزة بين بين وبقاء حركتها (أنيس، د ط، صفحة 79، 80)، (شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، 1966، صفحة 106) لأنه أثبت خلافه معمليا (القماطي م.، نتائج الأطروحة، 1997، صفحة 325) في بحثه المقدم لنيل درجة (الدكتوراه)، الموسوم بتسهيل الهمز في القراءات القرآنية.

**ثالثا– وظائفها الصوتية:**

فرّق بداية بين همزة القطع والوصل في سرد ما يخص كل همزة من معلومات تعرف بها، لاختلاف وظيفة كل منهما، وبدأ بهمزة القطع.

**همزة القطع:**

عرّفها بأنها "ما يثبت في حال وصل الكلام" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 274): وهو وصف تعليمي موجز مخل بوظيفتها في حالتي الابتداء بها، والوقف عليها، إذ تثبت في الابتداء لزوما، وفي الوقف غالبا لتقفل المقطع الأخير للكلمة إلا إذا اقتُضِيَ حذفها، إلى جانب أنه ينقض ما ذكره في أقسامها بأنها قد تسقط وسط الكلام، وأورد للتعريف بها عددا من المصطلحات الدالة على وظيفتها، وهي:

- الألف المتحركة: ذهب في تسميتها بالألف مذهب الأقدمين، فالهمزة عندهم "هي التي تسمّى في أول حروف المعجم بالألف" (حماة، 2004، صفحة 322/2)، ولا فرق بينها وبين الألف إلا الحركة فـ "متى حركنا الألف انقلبت إلى أقرب الحروف إليها وهي الهمزة" (يعيش، 2001، صفحة 516/5)، وإذا سميت بهذا الاسم عندهم فلأن الألف تعادل صامتا من الصوامت فهي حرف مد ساكن، خلاف التفسير الحديث التي أثبتت أنها صائتا يعادل فتحتين في النظام المقطعي للعربية.
- الألف الصامتة: التزاما بمبدأ المواءمة بين القديم والحديث ذكر الدكتور القماطي بعد المصطلح القديم مصطلحا حديثا وهو (الصامتة)، اعتمادا على وظيفتها المقطعية في سلسلة الكلام، فهي تعبر عن صامت، والصامت هو الصوت الذي ينحبس الهواء في أثناء النطق به في أية منطقة من مناطق النطق انحباسا كليا أو جزئيا (أنيس، د ط، صفحة 27) ، ويمثل في المقطع الصوتي (الشنبري، 2000، صفحة 201) إما بادئة للمقطع (Onset)، أو خاتمته (Coda)، ولا يكون نواته أو قمته (Peak) التي لا تكون إلا صائتا.
- ألف القطع: وهو من المصطلحات القديمة أيضا، ويتردد في كتاب سيبويه (سيبويه، 1988، صفحة 4/3، 445/532، 152).

**همزة الوصل:**

استخدم في التعريف بها مصطلح ألف الوصل مقابل ألف القطع وهو من مصطلحات سيبويه كما سبق (سيبويه، 1988، صفحة 333/3، 447، 523، 531)، ثم بيّن أنها "ما لا يثبت في حال وصل الكلام" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 275)؛ أي أنها لا تكوّن إلا بادئة المقطع، واستطرد قائلا: "وهي حركة يؤتى بها للابتداء بالساكن لاستحالة الابتداء به في العربية" (السابق)، والطبيعة المقطعية للكلام العربي تقتضي عدم الابتداء بصامتين، فالفعل (اكتب) مثلا قبل دخول همزة الوصل يبدأ بالكاف تليها التاء مباشرة دون أن يفصل بينهما صائت، فيلتقيان في بداية المقطع، ولا نظير لهذا في كلام العرب، فلا مناص من تحريك الأول، كما يحدث في تصغير كلمة ابن مثلا، أو زيادة صوت متحرك يمكّن الساكن الأول من وقوعه خاتمة للمقطع، وهو ما أدته همزة الوصل ابتداء، وتحذف وصلا ويحرك الساكن قبلها لالتقاء الساكنين، هذا ما ذهب إليه نحاة البصرة، ولا يرى تمام حسان وجودا للهمزة (الصامت) وأن ما جيء به مجرد حركة يبتدأ بها، وعليه أجاز أن يبتدئ المقطع بحركة فصامت (حسان، 1990، صفحة 148، 149)، ولا نظير لهذا المقطع في نظام العربية، كما أن صوت الهمزة في الابتداء بها مسموع، ولرأيه أصل عند الكوفيين الذين أجازوا نقل حركتها بعد حذفها إلى الساكن قبلها، ووجهوا به فتح الميم في قوله Y: (ألم الله) [آل عمران: 1]، وإلى هذا ذهب الدكتور القماطي عندما جعل "ظهورها حركة جلية في تحريك أول الساكنين" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 276) دليلا على أنها حركة لا غير، ولكنه تراجع عن هذا الرأي في كتابه الأصوات ووظائفها الطبعة الثانية (القماطي م.، 2003، صفحة 166). ولم يتصور البصريون بقاء حركة صوت لا وجود له؛ "لأن نقل حركة معدومة لا يتصور"

(الأنباري، 1964، صفحة 742/2)، فهي صوت زائد جيء به للابتداء بالساكن، ولا حاجة لهم به في الوصل، وفي هذا المذهب توافق مع النظام المقطعي الذي لا يسمح للصائت بأن يفتتح المقطع ويشكّل بادئته.

**رابعا– الكتابة الصوتية للهمزة:**

ربط الدكتور بين الرسم القرآني والدلالة الصوتية في بيان رسم همزة الوصل في قوله: "في الرسم القرآني ترسم خطا تحت الألف إشارة إلى أنها كسرة، ووسطه إشارة إلى أنها ضمة، وفوقه إشارة إلى أنها فتحة، وفي ذلك دليل على أن قيمتها الصوتية حركة ليس إلا" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 276)، وجاء بهذا الربط ليعضد ما ذهب إليه من أن وظيفة همزة الوصل المقطعية لا تتعدى كونها صائتا قصيرا، وقد تبين تراجعه عن هذا.

**المطلب الثاني– الجانب الصرفي للتعريف بالهمزة**

قسّم سيبويه الكلمة إلى اسم وفعل وحرف (سيبويه، 1988، صفحة 12/1) ، ولم يخالفه من جاء بعده من النحاة، وأكد ابن مالك رسوخ هذا التقسيم في علم النحو بقوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم  اسم وفعل ثم حرف الكلم

إلا ما انفرد به بعض النحاة من زيادة ما سمي بالخالفة (اسم الفعل)؛ لاشتراك صفاته بين الأسماء والأفعال (السيوطي، د ط، صفحة 3/3)، ولم يؤخذ به قسما جديدا، بل ضُمّ إلى الاسم مع بيان ما يخالفه من صفاته، كما ضُمّ كل ما دار حول أحد هذه الأقسام الثلاثة إليها، إلى أن ذهب تمام حسان إلى وجود مكان جديد لقسم جديد، وهو الصفة "يمكن له أن يقف جانبا إلى جنب مع الاسم والفعل، دون أن يكون جزءا من أولهما، ولا متحدا مع ثانيهما" (حسان، 1994، صفحة 88)، ويبدو قبول الدكتور القماطي هذا التقسيم عندما استعمله في تقديمه لأقسام همزة القطع، بقوله: "وهي ترد في الأفعال والأسماء والصفات" (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 274).

**الهمزة في البناء الصرفي:**

تمثل الهمزة، كأي صامت، أصلا من أصول بناء الكلمات في العربية؛ لأنها لغة اشتقاقية، وذلك جوّز لها أن تكون فاء للكلمة المتصرفة أو عينها أو لامها، وأن تدخل في بناء الكلمات الجامدة والكلمات المتأصلة في البناء كالحروف مثلا، وقد راعى الدكتور القماطي كل هذا في أمثلته، فمثل للهمزة الأصلية بـ (أخذ وأنف وأسير)، على الأبنية الثلاثة المعتمدة لديه، الفعل والاسم والصفة، والهمزة فيها فاء الكلمة، فأتى بها في المثالين الأخيرين عينا ولاما (سؤال وقارئ)، ومثل للمنقلبة بأرخ وقائل وبائع، وأصل (أرخ) ورّخ (منظور، د ط، صفحة 33/4)، وهي فاء الكلمة، وفي (قائل) انقلبت عن واو، وفي (بائع) عن ياء ووقعتا عينا لهما، ولاما في (سماء) وهي منقلبة عن واو، كذلك عند تمثيله للهمزة المحققة بالكلمات: (أتى إلى سيئة دعاء) (القماطي م.، آ، 1985، صفحة 275)، وهي تضم الفعل والاسم والحرف، كما تضم اختلاف موقع الهمزة من الكلمة.

**وظائف الهمزة الصرفية:**

كما تمثل الهمزة لبنة في جذر الكلمة، فهي تزاد لتنقل الكلمة من تصريف إلى آخر، وقد مثّل الدكتور القماطي لبعض الوظائف التي تؤديها عند زيادتها، فاختار من الأمثلة: أخرج وهو فعل متعد، وإخراج وهو مصدر، وأشهر وأحمر وهما صفتان، وما يجدر الإشارة إليه أنه جعل من وظائف همزة الوصل زيادتها للتعويض عن المحذوف من ابن واسم، ولا علاقة لهذا بقيمة الهمزة صوتيا؛ لما فيه من جبر للبناء عند حذف أحد أصوله.

**المبحث الثاني – منهج الدكتور القماطي في التعريف بالألف**

لم يختلف عرضه لصوت الألف كثيرا عن عرضه للهمزة، فبدأ بحقيقتها الصوتية في كونها صوت مد مجانس للفتحة، والذي يعدل ضعفها على ما استقر في علم الأصوات[1]، ثم بيّن مخرجها، وأردف ذلك ببيان وظيفتها الصرفية، ثم دلالاتها وتنوعاتها الصوتية، ثم بين بعض وظائفها الصوتية، وختم بكيفية رسمها ودلالة الرسم الصرفية.

**المطلب الأول– الجانب الصوتي للتعريف بالألف**

**أولا– مخرج الألف:**

جمع الخليل بين الألف والهمزة في وصفهما مع أصوات المد بالـ"هاوية في الهواء، أي لم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف" (الخليل، د ط، صفحة 57/1)، واستثنى سيبويه الهمزة من هذا الوصف (سيبويه، 1988، صفحة 435،436/4)، لاختلافها عنهن من حيث اندراجها مع الأصوات الصامتة؛ لعدم اتساع مخرجها، وهذا ما يميّزها عن الألف التي وصفها الدكتور القماطي (أنيس، د ط، صفحة 27) (شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، 1980، صفحة 29) (بشر، 2000، صفحة 217) مراعيا أهم المراحل النطقية التي يمر بها الهواء لإنتاجها، وهي:

- اندفاع الهواء من الرئتين، وبلوغ الفم منتهى الاتساع.
- إحداث اضطراب في الحبلين الصوتيين.
- يبلغ اللسان أقصى درجات هبوطه في قاع الفم.

في الأولى يتضح الجانب النطقي بمرور الهواء من مصدره الرئتين إلى أن يخرج من الفم، ولا وجود لعائق أو مضيق يحتك به عند جريانه، والجانب الثاني إحداثه اضطراب الحبلين الصوتيين، فهي من الأصوات المجهورة الواضحة سمعيا، وفي الثالث وصف لحجرة الرنين الفموية، وكيفية تشكّل اللسان عند النطق بها، معتمدا في ذلك على مقياس جونز للصوائت (القماطي م.، 2003، صفحة 88).

[1] - يرى الدكتور زيد القرالة أن زمن الصائت الطويل نفسه يختلف من سياق إلى آخر. الحركات في العربية، ص48- 56.

**ثانيا– تنوعاتها:**

اهتم بالتنوعات الكمية للألف دون التنوعات الكيفية، فبيّن أنها تعادل ضعف الفتحة في بداية التعريف بها ثم قسّم زمنها إلى ثلاثة درجات تقدّر بالحركات، وهي:

- المد الطبيعي: وقدره بالحركات أي ما يعادل الألف.
- المد الفرعي: وقدره زمنيا إما بأربع حركات أو بست، على ما استقر في قراءة نافع، فلم يذكر غير هذين المدين، مع ورود ما قدّر بخمس حركات في قراءة عاصم، وبثلاث حركات في قراءة ابن عامر (البنا، 1987، صفحة 158/1، 159)، ومثّل للمد المتصل قبل الهمز بما اتفق القراء في مده، أما المد اللازم في كلمة (محياي) [الأنعام: 162][2]، فقد اختص به نافع لانفراده بسكون الياء، فلزم أن يمد ست حركات.

**ثالثا– وظيفتها الصوتية:**

تنحصر وظائف الألف الصوتية التي ساقها الدكتور في التعريف بها عند استخدامه بعض المصطلحات الدالة على وظيفتها، وهي:

- الألف المصوتة: بدأ بهذا المصطلح بحثه ليقابل به مصطلح الألف الصامتة، وهي الهمزة، وكونها من المصوتات يدل على وظيفتها الأساسية وهي أن تكوّن نواة المقطع؛ لأن الصامت يخفى ولا يمكن تمييزه إلا بالصائت، "فهي أشد مكونات المقطع وضوحا" (بشر، 2000، صفحة 219)؛ ولذلك سميت بالصائتة، أو المصوّتة، واختار مصطلح المصوتة، وهو أقدم من مصطلح الصائتة (المبرد، 1994، صفحة 199/1) (سينا، د ط، صفحة 85) مع اتفاقهما في المعنى (منظور، د ط، صفحة 361/2، 362).
- الألف اللينة: اللين من المصطلحات التي ذكرها سيبويه في كتابه ليصف بها الواو والياء؛ "كقولك أي والواو" (سيبويه، 1988، صفحة 435/4)، ويبدو أن مثال الواو منسوخ، ففي حاشية الكتاب ذكر محققه أن بعض النسخ كتب فيها وؤ مكررة (السابق)، وهو أقرب مما اعتمده المحقق؛ لأنه يمثل الواو اللينة الشبيهة بالصامت، وفرّق بينهما وبين المديتين بقوله: "وإن شئت أجريت الصوت ومددت" (السابق)، فاللّين من الأصوات ما له مخرج يشبه الصامت، "لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك" (سيبويه، 1988، صفحة 436/4)، لذلك اختص هذا المصطلح في علم التجويد عند المتأخرين (الغوثاني، 2016، صفحة 59) بصوتي الواو والياء إذا سكنتا وتحرك ما قبلهما بالفتح، أما الألف فهي أشد اتساعا منهما، فلا تكون إلا مدا؛ لذلك خصها سيبويه بصفة (الهاوية) لشدة اتساعها.

[2] - سكّن عنه الياء قالون وورش من طريق الأصبهاني. واختلف عن ورش من طريق الأزرق. انظر النشر، 172/2، والإتحاف، 342/1.

ذكر الدكتور القماطي أن الألف تزاد لفظا وخطا، ولم يبيّن أغراض زيادتها إنما مثّل لها بما تؤديه من وظائف، وبدأ بالاشتقاق، وهو وظيفة صرفية، وأردفه بمصطلحات صرفية تؤدي وظائف صوتية، وهي:

- الندبة: وهي وظيفة صوتية؛ قال ابن يعيش: "لما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب، زادوا الألف آخرا للترنم، كما يأتون بها في القوافي المطلقة، وخصوها بالألف دون الواو والياء؛ لأن المد فيها أمكن من أختيها" (يعيش، 2001، صفحة 358/1)، فالغرض من الندبة تمكين الصوت في الأسماع، وإعطاء الكلمة جرسا صوتيا خاصا.
- تعويض التنوين: خالف المنهج القديم الذي يضم هذه الظاهرة إلى باب الإبدال، وعدها من باب الحذف للتنوين والتعويض عنه بالألف، وذلك لاشتراطهم في الإبدال تقارب المخارج، بينما لا يلزم ذلك في التعويض (جني، خصائص العربية، د ط، صفحة 82/2) (سيده، د ط، صفحة 267/13) (الشايب، 2004، صفحة 299)، والتفسير الحديث لهذه الظاهرة أن الألف تشكّلت من إشباع الفتحة بعد حذف النون؛ كراهة الوقف على المقطع (ص ح) بعد حذف التنوين، فمطلت الفتحة (الشمسان، 2002، صفحة 64)، وحذفت الضمة والكسرة؛ لثقلهما وخفة الفتحة..
- تخفيف نون التوكيد، وهو صوتيا يعادل التغير السابق، فالوظيفتان متفقتان، ولكنه ههنا راعى التقسيم الصرفي، فالأسماء يلحقها التنوين، وتلحق الأفعال نون التوكيد.
- الفصل بين نون الإناث والنون الثقيلة: وهو ما يعرف بالمخالفة الصوتية، وكراهة توالي الأمثال، ففصل بينهن بالألف، واستعمل الوصف الصرفي كذلك.
- صلة فتحة القافية: وهو الإطلاق، واستخدم مصطلح صلة الفتحة، وهو من مصطلحات علم القراءات، ووظيفتها صوتية إذ تميز الشعر عن الكلام العادي بلحوقها بالقوافي؛ لغرض التطريب كما سبق في قول ابن يعيش.

**رابعا– الكتابة الصوتية:**

فسر الدكتور ظاهرة رسم الواو والياء في نحو: الصلوة والتورية في القرآن الكريم على أساس صرفي، فجعل رسم الألف واوا دليلا على الأصل الواوي، ورسم الياء دليلا على الأصل اليائي، ولم يذهب مذهب ابن جني الذي قال: "وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سلام عليك، وقام زيد. وعلى هذا كتبوا (الصلوة) و(الزكوة) و(الحيوة) بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا (إحديهما) و(سويهن) بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة" (جني، سر صناعة الإعراب، د ط ، صفحة 50/1)، فالرسم القرآني راعى التنوع الصوتي لهذه الألفات في القراءات القرآنية على اختلاف لغاتها.

أما ما ذكره في الرسم الإملائي من دلالة الألف الطويلة على الأصل الواوي، والمقصورة على اليائي، فهو من الطرق التعليمية التي تيسر للقارئ معرفة قواعد الكتابة الصحيحة، ولا يطرد هذا في الرسم القرآني؛ لاعتباره تنوع القراءات كما سبق.

**المطلب الثاني– الجانب الصرفي للتعريف بالألف**

**الألف في البناء الصرفي:**

تعد الألف صوت مد يعادل في النظام المقطعي حركتين، وذهب الدكتور القماطي هذا المذهب في أول كلامه، ولكنه تراجع عن هذا الوصف عند ذكر الأبنية الصرفية ووصفها بالمنقلبة عن الأصل، وهذا يعود إلى الفكر الصرفي المبني على كون الألف من الحروف التي تبنى عليها الكلمات، وأنها حرف ساكن يتعذر تحريكه (جني، خصائص العربية، د ط، صفحة 377/2)، فلم يراع الجانب الصوتي عند حديثه عن الجانب الصرفي، وكأنهما علمان منفصلان، كما لم يراعه عندما نسب إلى الصرفيين بعض قواعدهم، كقلب الواو والياء والهمزة إلى الألف، وقلب الألف همزة، وهي قواعد بعيدة عن الوصف الصوتي الحديث لهذه التغيرات.

**الوظيفة الصرفية للألف:**

تلحق بعض الكلمات مورفيمات، وهي " أصغر وحدة صرفية لها معنى"، قد تدل على العدد من حيث الإفراد والتثنية والجمع، أو على النوع مؤنثا كان أم مذكرا، وقد تؤدي دلالات صرفية مع وظيفتها النحوية (شحاتة، 1998، صفحة 204، 205)، والألف واحدة منها، وقد مثل لها الدكتور بكونها:

- لاحقة من لواحق الفعل (ضميرا للمثنى)، وهو مورفيم رابط بين الدلالة الصرفية لدلالتها العددية على المثنى، كما بين وظيفتها النحوية لدلالته على الفاعلية.
- علامة إعراب: وجاء بمثال للمثنى، وآخر من الأسماء الخمسة، وهي كسابقتها، بيّنت جانبا صرفيا وآخر نحويا.
- علامة تأنيث: وهي وظيفة صرفية بيّنت النوع، واعتمد في تقسيم أنواعها على ما ترسم به، فقسمها إلى: طويلة، ومقصورة، وممدودة.
- الاشتقاق: ذكره في علل زيادة الألف، ومثّل له بالفعل ثم المصدر، نحو: (أخرج – إخراج)، موافقا المذهب الكوفي في أصل الاشتقاق (الأنباري، 1964، صفحة 235/1)، وأتى بعد ذلك باسمي فاعل من فعل ثلاثي، وختم باسم جامد، وجمعه، وربما كان يقصد من هذه الأمثلة التصريف لا الاشتقاق، والألف في هذا كله زيدت لأداء وظيفة صرفية، وهو ما أراد بيانه للقارئ.

**السمات العامة لمنهج الدكتور القماطي**

آثرت ختام هذا البحث ببيان أهم ما يميز منهج الدكتور القماطي بعامة اعتمادا على قراءة المقال (آ) لعل في ذلك تلخيصا لما ورد في البحث، وتسليط الضوء على أهم مميزات منهجه، وهي:

- مراعاة التيسير عند عرض المعلومات، كتمثيله لتصريفات الفعل الثلاثي (فتح يفتح افتح – جلس يجلس اجلس – خرج يخرج اخرج)؛ ليصل إلى التصريف المراد وهو فعل الأمر، وذلك في معرض بيانه مواضع همزة الوصل،

كذلك اختياره المنهج الكوفي لاشتقاق المصدر من الفعل عند تمثيله لزيادة الألف للاشتقاق، وفي ذلك تيسير للقارئ بإيصال المعلومة بشكل تعليمي بسيط يسهل استيعابه.

- تنوع المعلومات حول الصوتين ليلمّ الدارس بهما من جوانب عدة، ففي تعريفه بالصوت شيء من الدلالة النحوية، وطريقة تصويره كتابيا، إلى جانب إسهابه في بيان ما يتعلق به صوتيا وصرفيا، فاستطاع بإيجاز غير مخل أن يوفّر على القارئ جهدا في التماس أهم ما يتميّز به هذان الصوتان.
- ترتيب المعلومات برسم منهج للتعريف بالصوتين، بدأه بوصف مخرج الصوت، ثم عرج إلى بيان وظيفته الصرفية، وتنوعاته، وانتهي بإيضاح علاقة الصوت بالرسم الإملائي، ولم يختل هذا الترتيب إلا في إدراجه دلالة الهمزة بعد بيان وظيفتها الصوتية، وإضافته مواضع زيادة الألف بعد ذكر التنوعات الصوتية لها.
- عدم الدقة في استعمال المصطلحات: من ذلك استعماله مصطلحي الألف المتحركة والألف الصامتة لصوت الهمزة، وفيهما خلط بين وظيفتي الألف والهمزة، كذلك كثرة سرده المصطلحات للشيء الواحد، والاضطراب في ترتيبها الزمني، يراعيه تارة فيأتي بالمصطلح القديم ويردفه بالحديث، مثل الألف المتحركة والألف الصامتة، وقد لا يراعيه كما في همزة القطع وألف القطع، كما اختلط تصنيفه لبعض المعلومات التي تدخل تحت عنوان واحد فقام بتفريعها، كما في سرده وظائف الألف الصرفية، منها ما جعله أقساما للألف، ومنها ما جعله وظائف لها، وخلط أيضا بين الوظائف الصوتية والصرفية في باب زيادتها، ولكل هذا اعتذار لصغر مساحة المقال المنشور، فلم يسعه أن يقدّم للقارئ ما يريد تقديمه من معلومات.
- المواءمة بين المنهجين القديم والحديث: من ذلك ما تقدم في استعماله للمصطلحات، ويظهر ذلك أيضا في استعماله المنهج المعياري القديم في تفسير الظواهر الصرفية، كقلب الواو والياء ألفا، والمنهج الوصفي الحديث في الظواهر الصوتية، كاتفاقه مع تمام حسان في تقسيم الكلمة، وكأنه يميل إلى اختصاص كل علم بمصطلحاته ومنهجه.
- اعتماده في التمثيل على قراءة نافع وروايتيها، إذ مثل بقراءة قالون للهمزة بين بين والمبدلة والمسقطة والمنقولة، وزاد في المبدلة مثالا من قراءة ورش في قوله: (وبير معطلة)[ الحج: 43][3]، وفي المد اكتفى ببيان درجاته في قراءة نافع، وليس ذلك بغريب فهي القراءة الشائعة في مساجد ليبيا.
- اهتم في وصفه للأصوات بالجانب النطقي المسموع المتواتر عن القراء، كما فعل في وصفه مخرج الهمزة، ولم يتبع اللغويين في ذلك.
- تنوعت إحالته على المصادر والمراجع التي قد يستزيد منها القارئ، فمنها ما تميز بالسهولة والإيجاز في العرض، مثل كتاب الإضاءة، الذي قدم فيه مؤلفه أصول هذا العلم في نبذة لطيفة، كما وصفه صاحبه (الضباع، 1999، صفحة 3)، ومنها ما تميز بالتلخيص الجامع كحاشية الصبان، التي ضمت ملخص زُبد ما كتبه المشايخ والأعيان

[3] - قرأ أبو عمرو وأبو جعفر وورش بالإبدال وصلا ووقفا، وأبدله حمزة وهشام وقفا. انظر النشر في القراءات العشر، 431/1.

في ألفية ابن مالك (الصبان، د ط، صفحة 29/1)، وأخرى تميزت بشرح ما أشكل وتفصيل ما أجمل، مثل شرح المفصل، زاد طالبي اللغة العربية.

**المصادر والمراجع:**


1- إبراهيم الشمسان. (2002). *الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة*. الكويت: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الحولية 22، الرسالة 186.

2- إبراهيم أنيس. (د ط). *الأصوات اللغوية*. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

3- ابن الجزري. (د ط ). *النشر في القراءات العشر*. بيروت: دار الكتب العلمية.

4- ابن جني. (د ط). *خصائص العربية*. القاهرة: المكتبة العلمية.

5- ابن جني. (د ط ). *سر صناعة الإعراب*. تحقيق: حسن هنداوي.

6- ابن سيده. (د ط). *المخصص*. بيروت: دارالكتب العلمية.

7- ابن سينا. (د ط). *أسباب حدوث الحرف*. تحقيق: محمد الطيان، ويحيى علم. دمشق: مجمع اللغة العربية.

8- ابن منظور. (د ط). *لسان العرب*. السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد.

9- ابن يعيش. (2001). *شرح المفصل*. تحقيق: إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1.

10- أبو عمرو الداني. (2000). *التحديد في الإتقان والتجويد*. تحقيق: غانم قدوري. عمان: دار عمان ط 1.

11- أحمد البنا. (1987). *إتحاف فضلاء البشر في القراءات العشر*. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب: بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، ط1 .

12- الأنباري. (1964). *الإنصاف في مسائل الخلاف*. تحقيق: محمد محيي الدين. القاهرة: مطبعة السعادة. ط4.

13- الخليل. (د ط). *العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي.

14- الصبان. (د ط). *حاشية الصبان على شرح الأشموني*. تحقيق: طه عبد الرؤوف. القاهرة: المكتبة الوقفية.

15- القرطبي. (2000). *الموضح في التجويد*. تحقيق: غانم قدوري. عمان: دار عمار. ط3.

16- المبرد. (1994). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ط3.

17- تمام حسان. (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها* . الدار البيضاء: دار الثقافة.

18- تمام حسان. (1990). *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة: المكتبة الأنجلومصرية.

19- جلال الدين السيوطي. (د ط). *الأشباه والنظائر*. تحقيق: غازي مختار طليمات. دمشق: مجمع اللغة العربية.

20- حامد الشنبري. (2000). *النظام الصوتي للغة العربية*. القاهرة: مركز اللغة العربية.

21- زيد القرالة. (2004). *الحركات في العربية دراسة في التشكيل الصوتي*. إربد: عالم الكتب الحديث. ط1.

22- سيبويه. (1988). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: الخانجي. ط3.

23- صاحب حماة. (2004). *الكناش في فني النحو والصرف* . تحقيق: رياض الخوام. بيروت: المكتبة العصرية.

24- عبد الصبور شاهين. (1966). *القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

25- عبد الصبور شاهين. (1980). *المنهج الصوتي للبنية العربية*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

26- علي الضباع. (1999). *الإضاءة في بيان أصول القراءة*. القاهرة: المكتبة الأزهرية. ط1.

27- فوزي الشايب. (2004). *أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة*. إربد: عالم الكتب الحديث. ط1.

28- كمال بشر. (2000). *علم الأصوات*. القاهرة : دار غريب.

29- محمد القماطي. (2003). *الأصوات ووظائفها*. طرابلس: دار الوليد.

30- محمد شحاتة. (1998). *أنواع المورفيم*. القاهرة: مجلة علوم اللغة مج1 ع2.

31- محمد منصف القماطي. (1985). *آ*. طرابلس: مجلة كلية الدعوة الإسلامية ع 2.

32- محمد منصف القماطي. (1997). *تسهيل الهمز في القراءات القرآنية*. الخرطوم: رسالة دكتوراه جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. ط2.

33- مكي. (1996). *الرعاية*. تحقيق: أحمد حسن فرحات. عمان: دارعمار. ط3.

34- يحيى الغوثاني. (2016). *علم التجويد المستوى الثاني*. دمشق: دار الغوثاني. ط11.